ديوان الأمير شكيب أرسلان

وهو ما أمكنه العثور عليه من شعر أمير البيان

في خمسين سنة

وقف على طبع القسم الاكبر من هذا الديوان

وتصحيح ملازمه

فقيد الشرق والاسلام المرحوم الاستاذ

السيد محمد رشيد رضا

منشئ المنار

سنة ١٣٥٤ — ١٩٣٥

مطبعة المنار بمصر

تصدير ديوان

امير البيان

لما علم شاعر الاقطار العربية وشيخ الادباء الاستاذ خليل بك مطران بقرب ظهور ديوان صديقه وعشير صباه صاحب العطوفة الامير شكيب أرسلان أحب أن يضع له كلمة التصدير التي تثبتها في صدر الديوان، قال الاستاذ حفظه الله ﴾ :

هذا ديوان امير البيان ! أفي حاجة أنا الى تسمية صاحبه بعد هذا النعت الذي نعته به الاجماع في الأمة العربية ؟

أتيح لى أن أصدره بهذه الكلمة وفي النفس داع من الود القديم؛ وباعث من الاعجاب والاكبار ، فانتهزت الفرصة السانحة ، مغتبطا بها ،ولا أبرىء اغتباطى من أثر فيه للاثرة فان حظى من الفخر بهذا التصدير أضعاف حظ الصديق الكريم .

بدأ الامير شكيب أرسلان حياته الأدبية بنظم الشعر فاشتهر به ولما يعدُ السابعة عشرة من عمره . وقد طبع فى ذلك الوقت ديوانا جمع به أوائل شعره وسماه (الباكورة) فتوسم مطالعوه أن ناظمه يرقى حثيثا الى مقام لا يرام بين شعراء العربية . ولو ظل الأمير معنيا بذاك الفن الرفيع لصدق فيه ما ظنوه كل الصدق .

غير أن شأنا آخر من الشئون الضخام التى هي أشد اغراء للرجل البعيد المطمح فى مطالب العلياء صرفه وشيكا عن الهيام فى مسابح

الخيال والضرب في آفاقه الانيقة الى منازلة الحوادث والايام في معترك الحقيقة .

ففي هذا المفترق الأول من السبل التي يواجه بها المرء مستقبله آثر الأمير الترسل ومضى فيه متدفقا تدفق الينبوع الصافي مجلجلا أحيانا جلجلة السيل الكثير الشعاب . وما زال حفظه الله منذ خمس وأربعين سنة يتحف قراء العربية في مشارق الارض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من أنوارها هدى أو يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهيء لهم من أمرهم رشدا ، الى رسائل متنوعة يجتلون محاسن أغراسها وأزهارها ويجتنون ما يغذي العقول ويفكه القلوب من أطايب ثمارها ، الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر فما ينقضي يوم من أيام تلك البرهة الا وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها أو فرائد تزخر بها أنهارها . ولو تفرغت طائفة من حملة الاقلام جم عديدها فياضة قرائحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة ، الاجتماع والأدب ومباحث التاريخ والاخلاق لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات لتعذر عليها أن تأتي مجتمعة بما أتى به ذلك العلم الفرد .

على أن الذين تتبعوا كما تتبعت آثار الامير شكيب قد تبينوا منذ الساعة الاولى سر المزية التي امتاز بها شعره ونثره جميعا فأحلاه الذروة المنيعة الرفيعة التي حلها بين الافذاذ المبرزين من متقدمين ومتأخرين .

ذلك السر هو أنه ملك اللغة من أول أمره ولا اتغالى اذا قلت انه جمع معجمها في صدره بله ما استظهره من اساليب بلغائها ورواه من

روائع فحول شعرائها وفي أثناء وروده تلك المواردمن فصح العربية كان يرى وجوه الانطباق بين المصطلحات القـــديمة والمصطلحات الحديثة ويتبين كيف تصرف المتقدمون فيما وصل اليهم من الاصول ليفرعوا عليها المعانى الجديدة التى تعلق بها تصرفا لم يناف سلامة القول ولم ينابذ مقتضى البلاغة على تحول الاحوال وتعدد العهود

فلما اتسقت له هذه الخصال وتوافرت لديه تلك الاسباب وأفاض من واسع علمه بالعربية على ما أكسبته الخبرة آنا بعد آن من مزكونات المبتدعات الحديثة ومقتضيات الاحوال العصرية ما دق منها وماجل بين حسى ومعنوى ، عدل غير مبطىء عن تشبثه الاول بالمحض الخالص من الاساليب المأخوذة عن الصميم من القديم ولم ير له بعد ذلك مكتوب الا وهو مطبوع بطابع السلاسة والانسجام والغزارة مع الحرص على شرف المفردات ورصانة التراكيب مجتمعا كل أولئك في طابع الامير شكيب

تلك غاية لم يدركها غير هذا العبقرى في الترسل ولو قد رامها في الشعر لادركها كما قدمت . غير انه اذا كان قد رضى لنفسه في الشعر أن يكون المقل المجيد فلا مشاحة فى انه انفرد بين المترسلين بانه المكثر المجيد .

وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ليجد بحرا زاخرا في الادب ليست اللؤلؤات المنظومة فيه الا شقائق اللآلىء المنثورة منه في كل جانب

القاهرة ٢٥ مايو ١٩٣٦ خليل مطران